من كتابها أيضاً

احمد الشيخ علي

أسعفي البراري بأشذاك
والتمعي ..
ريشة
في شمس قليلة
ومطر قليل..

هكذا بدأت نشيدي
وأسرفت بتفاحها!

- 1 -

يدي ..
أمرارها
على حيائك الراجف
يدي ..
أمرارها فحسب
على حيائك الراجف
أمرارها ..
فيأمن لوز في عينيك
ويسكر ورد غامض
يصير لك جناحان ...

- 2 -

يداك ،
وأصابع يديك ..
ملاك صباح
يغلب مدينة من الأساطير ،
مدينة لم يرها أحد
مدينة بألف باب
كل باب
يقود إلى مدينة أخرى
.. لها ألف باب
كل باب
من ياقوت وذهب
وزعفران ..
ونار ..
وكلام ..
وغيم ..
ونجوم ..
وبرق ..
ويأقوت ..
وذهب ..
وزعفران ..
ونار ..
وكلام ..
وغيم ..
ونجوم ..
وبرق ..
وسنبلات فضة ..
وزبرجد ..
وحرية ..
وعيون تنظر إليّ
ولا تطرف أبداً .....
.....

إلى هنا ،
وجاء ملاك صباح
وأخذ بيدي ..
وقادني
إلى حيث عرش
في بلاط
من نور وموسيقى .
وأنت
متكئة
على العرش ..
بيديك ، وأصابع يديك
تخلقين ملاكاً صباحاً
.. قاهراً
يفتح ممالكي ، ويقودني إليك ..
مثل أمير

- 3 -

لسنا وحدنا ،
للرج هو الآخر عار ..
وأنا وأنت
نتقطر
أنا
وأنت
على صدر الرج الفسيح
الورد والآس والعشب
سواء
في الحقيقة
وفي النشوة ،
أخوة
من أم واحدة
وآباء لا حصر لهم ..
ها هنا ،
الهواء :
غزلان بأجنحة ،
لا ترى ..
تغمرنا بأنفاس مجنونة
وتقتلنا بسيقان رشيقة
مثل سيوف ماجنة
وكؤوس بلور
ورحيق ورغبة ..
ها هنا ، الماء .. لا يتذكر ،
بريق قصائده على لا أحد ..
قصائد طويلة
مثل
ج
د
ي
ل
ة
محلولة
يغتصبها الهواء..
ها هنا ،
أنا
وأنت :
حمامة ..
وحرية ..
وفسيح هو الرج
وعار أيضاً

انجزتُ كتابة هذا الموضوع قبل بضع سنوات مستعينا باكبر قدر ممكن من التحفظ، ومع ذلك فشلت في حصول الاذن على نشره لاسباب لاتقتضي الايضاح، وحين قمت بمراجعته بعد 2003/4/9 رأيته صالحاً للعرض، مثلما رأيت أن إعادة صياغته بأقل قدر ممكن من التحفظ، هو من باب البطولة الزائفة، ولهذا حرصت على تقديمه كما هو، إلاّ من لمسات هامشية هنا وهناك.

المشهد التاريخي يفيد بأن اليوم هو التاسع والعشرون من ايلول عام 1931، يمثل الميلاد الحقيقي لفن الكاريكاتير العراقي، حيث ظهرت جريدة "حبز بوز" أول مرة بغلاف يحمل رسماً كاريكاتيرياً بريشة عبد الجبار محمود.. ثم توالت الرسوم مستقطبة عدداً من التشكيليين، لعل ابرزهم كان فائق حسن.

الكاريكاتير العراقي...

وثائق 20 سنة من الكوميديا السوداء

حسن العاني

ويفيد المشهد بأن العقد الاربعيني كان عقد الرسام غازي، الذي تميز بقوة خطوطه واتساع دائرة معالجاته حتى يمكن القول، بأن مدرسة ذات ملامح خاصة بها الى حد ما قد تبلورت على يده، وظل تأثيره واضحا الى سنوات بعيدة قبل ان تتمخض الستينيات عن ولادات واتجاهات فنية عديدة استطاعت فرض حضورها الواسع في مراحل لاحقة يقول الفنان خضير الحميري (ان هذا الفن لايبعد من بين الفنون العريقة في العراق إذا ما قورن بالفنون التشكيلية الاخرى)، ولاغبار على مثل هذا القول لأن علاقة هذا الفن بأمه الشرعية (الصحافة) ظلت واهنة جداً بالقياس الى ما بلغه في مصر مثلا. فبينما كانت اغلب المطبوعات العراقية تنظر الى دوره بكثير من التشكيك، كانت مجلة اخر ساعة في عام 1934 على مايذكر الكاتب مصطفى امين، تدفع اعلى اجر لرسام الكاريكاتير (صاروخان) وهو 30 جنيها في الوقت الذي يتقاضى فيه رئيس التحرير، الدكتور سعيد عبده (18 جنيها) ومصطفى امين 10 جنيهات وامينة السعيد 2 جنيه!!

على ان ما هو اهم من ذلك كله، يتركز في مديات الجرأة التي حققها هذا الفن، وربما كان الكاتب أيمن حبيب على حق عندما أشار الى أن هذا الفن مازال كثير التوجس في طروحاته ازاء كل شيء، ابتداء من المؤسسة وانتهاء بالبورتريت، لأن الدم العراقي لم يبرأ من حساسيته المفرطة، ولم يزل صدره يضيق امام النقد، وكرياته البيض شديدة النقاوة لم تخترقها خطوط الطول والعرض الديمقراطية.

ان مشكلة الكاريكاتير في كل زمان ومكان، هي في كونه لا ينمو ويكبر من غير قوانين حياتية مفتوحة على مصراعيها، ومن هنا لجأ الرسام الى اكثر الوسائل تلميحا وهمساً وافلاتاً من العين الحمراء، ولا شك أبداً في صحة ما ذهب اليه الحميري من أن (هذا الفن يمكن ان يعالج أي موضوع من دون استثناء، وأهمها السياسة، لكونها موضوعا ساخنا)، وبسبب هذه السخونة التي تنبعث من مرجل السياسة فأن إمكانات هذا الفن هي أكبر مما نراه على السطح.

مهام توثيقية

على وفق هذه المعطيات، يبدو من اللافت للنظر حقاً أن يتسيد الكاريكاتير على الفنون الاخرى جميعها في ميدان اليه بأطمئنان على أنه مستمسك يتضمن مجريات الحياة العامة في العراق بشتى تبدلاتها وتطوراتها وتداخلاتها... كما يبدو من اللافت للنظر كذلك أن يتولى هذا الفن المبتسم بسخرية مهمة التوثيق نيابة عن كتب التاريخ وافتتاحيات الصحف، مع ان هذه المهمة تقع خارج طبيعته وتخصصه!

بشيء من التركيز سنحاول الالمام بالعشرين سنة الاخيرة من القرن الماضي كأنموذج لما ذهبنا اليه ومعنا قائمة يمثلها حشد من فناني الكاريكاتير، وقد اخترنا مخافة الضياع، ثلاثة من اكثرهم عناية برصد الواقع العراقي، وهم خضير الحميري، عباس فاضل ومؤيد نعمة، لأنهم دأبوا على ملاحقة الظواهر وقدموا عنها شهادات فنية يقول عنها الناقد بكر علي، انها دقيقة للغاية ولن يعاني متابع هذا الفن صعوبة تذكر في تحديد العمر الزمني لأي رسم يعرض عليه، فبمجرد إلقاء نظرة على مضمونه سيقول لك إنه ينتمي الى هذا العقد او هذه المرحلة بحيث يمكن تكوين فكرة كافية، فقد بات هذا الفن يحمل بين طياته وخطوطه الضاحكة سمات الموقع والزمن... وهاتان السمتان هما من اشتراطات أية وثيقة.

شخصيات ورموز

وإذن فقد رصد الرسامون كل ما يطفو على السطح من إشكالات ومشكلات، ولكي نجري مقارنة بسيطة يمكن العودة الى اعمال الثمانينيات، فهي تكشف عن الخلل في الجهاز الاداري معبراً عنه بهذا الموظف اوهذه المؤسسة، بكل ما يتبع ذلك من (واسطة) وروتين قاتل وجهاز بيروقراطي بينما عمد الرسام في ميدان العلاقات الاقتصادية الى الكشف علنا او تلميحا الى ما يجري في الخفاء واستفحال ظاهرة السوق السوداء والسماسرة... الخ.

وهكذا يلاحظ بان الرسام منح المرحلة هويتها التعريفية الوثائقية مثلما منح نفسه هوية خاصة به وأنموذجا ينفرد بتجسيده، فعباس فاضل مثلاً، رسخ شخصية (ام ستوري الدلالة) وهي رمز سيء الصيت لنمط الحياة الاقتصادية فيما رسخ خضير الحميري شخصية (روتين تعقيدي) أنموذجا للادارات السلبية.

الكوميديا السوداء

سوف يتخذ العقد التسعيني كلما تقدمنا في نصفه الاول، وكلما ازدادت وطأة الحصار والجوع، طابعا منفردا به، لايخلو حيانا من إمتدادات العقد الذي سبقه، ولكنه مع كل صباح جديد من المعاناة المتفاقمة ينحو منحى يجدد لونه ومذاقه، فعلى الدوام هناك نكهات يجمعها قاسم مشترك هو: كيف يمكن ان تعيش اذا كان سعر كيلو اللحم اعلى من راتب الوظيفة الشهري؟!

معادلة صعبة التوفيق، ومن هذه المعادلة تولد معادلات وتفرعات، ويولد عالم واسع عن الرشوة بأسم الهدية، وعن الرشوة السرية وثم العلنية، وعن سرقة السيارات وممتلكات الدولة وتجار الضمائر والمتاجرة بصحة الناس وداوئهم والغش الصناعي والتجاري... الى اخر مايمكن ان تتضمنه القائمة وهي طويلة.

من منطلق هذه المعادلة الذي يطرح ضمناً شعار (لا تسأل عن الوسيلة .. عليك ان تعيش اولا) جسد الكاريكاتير بلغة الكوميديا السوداء اجواء العقد التسعيني ونمطه الاجتماعي بدءاً من المهور العالية وانتهاء بشريحة توفر لها كل شيء وبات بمقدورها التعامل مع الوضع الجديد بالصيغة التي تفهمها وتريدها.

ان اشكاليات هذا العقد الموبوء بأجواء الحصار والمعاناة، ليس بسبب الموقف الدولي بقدر ما هو نتاج سلوك شريحة محسوبة على النظام او افادت من الظرف الشاذ، وقد انعكست على اعمال الفنان انعكاسا يسهل العثور عليه، فهو خيال جامح وسخرية مرة ونقد لاذع وقسوة في التجسيم، لعلها جميعا اقرب الى وثيقة الادانة او انها شهادات على العصر.

حين نصر على تأكيد وثائقية الكاريكاتير خلال العقدين الماضيين، يمكن ان نصر بثقة اعلى، على انه الوثيقة المعبرة عن مواقف واتجاهات الرأي العام التي لا ينفصل عنها، وخير مايمكن الركون اليه في هذا المجال، هو المنجز الفني للحميري بعد احداث 2003/4/9، حيث تثير اعماله المنشورة داخل وخارج العراق على انه لم ينجح فقط في اعطاء سمات ودلالات مرحلة معينة من تاريخ العراق يمكن فهمها بسهولة من خلال اعماله بعد الف سنة، وانما كان موفقا بالدرجة نفسها في تشخيص الرؤية العراقية الحقيقية من القوات الاجنبية، من السلب والنهب، من الانفلات الامني، من..من.. والموقف الفكري والوطني والنفسي من تلك الحالات مجتمعة بأسلوب حاد وساخن ومتطرف في ظاهره، ولكنه في جوهره وما يخفيه من مذاقات مرة، موضوعي، يخضع لمنطق عقلاني ويرفض الانسياق العاطفي، ومع ان الفنان كان يؤسس عالمه عبر لدغاته المتهكمة الساخرة الا انه كان يقدم شهادة شاهد عيان عن مرحلة ما بعد الاحتلال تقف عاجزة دونها مقالاتنا النارية وخطبنا الحماسية...و.. مقابرنا الجماعية.

ثقافة الديمقراطية الاولى في العالم

العصر الذهبي للفنون الإغريقية في عهد بيركليس..

بندر عبد الحميد

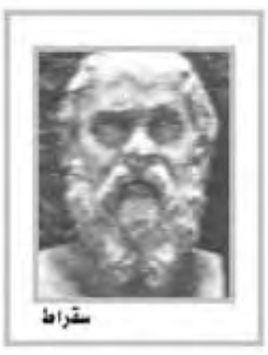
سقراط

فتيات كوروس

بيركليس

عاشت الفنون الاغريقية فترة ازدهار على مدى ثلاثين عاما في عهد بيركلس الذي ولد في أثينا عام 495 قبل الميلاد، ووصل فيها الى السلطة وهو شاب في الرابعة والثلاثين.

كان بيركليس صديقا لعدد من المبدعين والمفكرين الذين تركوا بصماتهم على الحياة العامة والحياة الثقافية، ومنهم اسخيلوس وسوفوكليس رائدا المسرح الاغريقي، وفيدياس أعظم النحاتين في عصره، وتوسيديدس أول مؤرخ معروف في العالم.

شهدت الفنون الاغريقية عصراً ذهبياً بلغت في ذروتها العمارة والنحت والمسرح وكتابة التاريخ والفلسفة، وارتبط هذا العصر الذهبي باسم بيركليس الذي ولد في أثينا عام قبل الميلاد من اسرة أرستقراطية، فقد كان والده قائداً بارتبة ادميرال، حارب في معركة سالاميس، وقاد الاسطول الاثيني في معركة مايكال، أما والدته أجاريست فهي الحفيدة الكبرى لكليستينز الذي قام بتعديل الدستور الاثيني تجاه الديمقراطية الاولى في العالم.

الخطابة سلاحاً

وفي ظل الصراع المرير بين أثينا واسبارطة استطاع بيركلس أن يضمن حالة استقرار في أثينا، فقد كان يتمتع بالقدرة على الاقناع، وكان سلاحه يتمثل في براعته في الخطابة التي اوصلته الى السلطة مبكرا، وكان الاختلاف الاساسي بين أثينا واسبارطة يتركز حول موقفها من الفلاسفة والفنانين، فقد كان الاثينيون يبجلون الفلاسفة والفنانين بينما كان الاسبارطيون يغلقون الابواب امامهم ويعتبرونهم خطراً لانهم يشجعون الافكار الجدية ويوجهون نقدهم اللاذع الى النظام ويعتقد الاسبارطيون أن الفضيلة تتمثل في العضلات المفتولة، وان الفنون والاداب هي نوع من النعومة الشرقية الهشة.

اما بيركليس فقد كان يطبق مبادئه التي درج عليها منذ أن استلم السلطة ومن هذه المبادئ ما جاء على لسان صديقه ومستشاره بروتاجوراس، والذي يعكس انسانية رؤيته السياسية حيث (الانسان هو المقياس لكل شيء)، ومن مبادئه أيضاً ما نقله عنه صديقه المؤرخ الاول في العالم توسيديدس حيث يقول بيركليس: (أنا أردت ان تحكم يجب أن تعرف ماذا ستفعل، وان تتمكن من شرح وجهة نظرك، ويجب أن تحب بلدك، وان تكون نزيها).

كان بيركليس هو الحاكم الاستراتيجي المطلق، في هذه التجربة الديمقراطية الهشة التي تعتمد على فن الخطابة اولا، ولم يكن هدف بيركليس اثارة المشاعر وانما كان يهتم بالاقناع، فكانت خطاباته قصيرة ومحشوة بالوقائع والارقام، وقد وصفها المؤرخ اليوناني بلوتارك، في زمن لاحق، بأنها (سريعة وخفيفة) وهي اقرب الى خطابات تاكيتوس من خطابات شيشرون التي يضرب بها المثل.

الاصرار على فن البناء

استطاع بيركليس أن يسيطر على الحياة العامة في أثينا لمدة ثلاثين عاما ووضع بصماته على تلك الحقبة التي تدعى (العصر الذهبي لاثينا)، وكان يعاني من إعادة انتخابه سنوياً في المجلس الحاكم الذي يتألف من عشرة أشخاص، فهو لم يكن مدعوماً من حزب او جماعة ضاغطة، وكان في المجلس عدد من المناوئين الشرسين لسياسته المعلنة، فهناك المحافظون الذين يقودهم سيمون نحو المصالحة مع اسبارطة ذات التقاليد البدائية المحافظة.

في ظل فترة طويلة من الاستقرار نما الاقتصاد الاثيني وازدهرت الفنون، وقرر بيركليس أن يعكس صورة هذا الازدهار ببناء تحفة معمارية هي (البارثينون) ولكن المجلس الاستشاري الذي يحيط ببيركليس انتقد هذا المشروع بسبب تكاليفه الباهظة، وارتفعت الاصوات تحتج على تبذير الاموال العامة، فانبرى بيركليس يدافع عن مشروعه قائلا: (هذا يعني اني سأنجز هذا المشروع بمالي الخاص، وعندها سأكتب اسمي، وليس اسم اثينا، على جبهة البناء).

فأثار بذلك حمية الاثينيين الذين اندفعوا لدعم المشروع، وبدأ العمل فعلا بادارة اثنين من اشهر المهندسين هما كاليكراتس واكتينوس واشرف عبقري النحت فيدياس وكلهم من اصدقاء بيركليس، الى جانب سوفوكليس الذي ولد في العام الذي ولد فيه بيركليس، وكان بيركليس يدعم ويمول عروض مسرحيات اسخيليوس، ومنها مسرحية (الفرس) التي تعتبر بداية ولادة التراجيديا في العالم، كما كان يشجع توسيديدس الذي ارتبط اسمه ببداية كتابة التاريخ.

الخطابة المباشرة

لم يكن بيركليس يحضر المناسبات الاجتماعية والولائم او العروض المسرحية والرياضية، وقد سبب له هذا الموقف انتقادات تتهمه بالتعالي، ولكن بيركليس كان حريصا على عدم اضاعة الوقت، فقد كان مجلسه مفتوحاً لكبار المفكرين، وحينما كان يشعر بالحاجة الى مخاطبة الناس، كان يتجه الى ساحة المدينة (الاغوار) ويقول مايريد بأسلوبه المتفرد في الخطابة.

فن التفكير

مع أن المفكرين والفنانين الذين كانوا يحيطون بشخصية بيركليس تركوا عليها تأثيرات، الا ان بيركليس انقاد لشخصية بارزة هي اسبازيا، المرأة الجميلة الثقراء ذات الصوت (الفضي) كانت اسبانيا ذكية وجذابة، وكان سقراط يعشقها وزعم بكثير من المبالغة بأنها هي التي علمته (فن التفكير).

أحب بيركليس اسبازيا وتزوجها بعد أن طلق زوجته من أجلها، كانت اسبازيا تحاور المفكرين والنحاتين، وترعى اعمال فيدياس وتشجعها، وكان سقراط يبث نصائحه للنحاتين فيقول: (يجب أن تعبر نظرات المحاربين عن التحدي، وان يظهر الفرح على وجوه المنتصرين في التماثيل، ويجب أن يظهر شكل التمثال كل مشاعر الروح) وهذا ما نجده في اعمال فيدياس، ومنها تمثال خاص جداً لاسبازيا الجميلة.

المواجهة الخاسرة

مع ان المجتمع الاثيني كان متحضراً، الا انه كان لا يخلو من المحافظين الذين استغلوا زواج بيركليس من اسبازيا، واعتبروه فضيحة لا تليق بمكانة بيركليس، وأضافوا بعد ذلك اتهاما جديدا بأنه خاض الحرب البيلوبونيز لارضاء اسبازيا، لكن المفارقة الواضحة كانت عندما ثار الاثينيون ضد بيركليس عندما كانوا ينعمون بالرخاء وليس في المرحلة التي عاشوا فيها البؤس.

وبعد مواجهة خاسرة مع اسبارطة اضطر بيركليس الى عقد اتفاق سلام، ولكنه عاد وشن حربا ضدها عام قبل الميلاد ولحقت به الهزيمة، وتم يجدد في العام التالي، حيث انتشر الوباء وتهاوت السلطة والثروة.

وقد كان بيركليس يتوقع هذه النتيجة المؤلمة ولكنه لم يكن يملك خياراً افضل، وقبل موته بالطاعون عام قبل الميلاد قال وهو يعشر بمرارة ما حدث:

(حتى لو أجبرنا على الاستسلام الا ان ذكريات عظمتنا ستذكرها الاجيال القادمة دائما).

عبدالزهرة زكي في جرش

شعر يورث الأمل وينتصر لبغداد الآتية

عمّان ـ علي عبدا لأمير

خالف الشاعر عبدالزهرة زكي توقعات محبي الشعر في جرش (اوائل الشهر الجاري) حين تقدم إلى منصة قاعة الحسين في عمان، ليقرأ شعراً يورث الأمل بينما كانت التوقعات تذهب إلى لقاء سيتميّز بشحنة عاطفية متأججة كالتي يعنيها وجود شاعر عراقي عايش تراجيديا بلاده شاهداً على فصولها.

وفيما كانت الأسماع تتجه إلى إلتقاط نصوص تنقب او تتصل بالذي حدث في العراق خلال الحرب، وما بعدها على الاقل، الأن صاحب "اليد تكتشف" اختيار مساراً مختلفاً ففرأ نصوصاً من الجانب الحي من بغداد، تاريخاً وحضوراً إنسانياً، يوثق للمدهش في الحياة والفكر والمعرفة.

اللافت في قراءات زكي، انها تميزت بشعرية تتنقل في قراءة الحوادث والحكايات والرموز، وتحويلها لمعارف شخصية ليست للشعر حسب، بل للمدينة، أي لبغداد التي تعاطى معها الشاعر، حاضنة لتاريخ ممتد، حتى ليبدو ما حصل فيها راهناً، محطة صغيرة في سير حثيث وممتد إلى تكوينات وآفاق تجدد.

هنا جاءت المغايرة التي قصدها صاحب "هذا خبز" بنبرة خافتة، ولكنها عميقة في آن، لجهة إيمانه الراسخ، بأن كل الذي عاشته بلاده في فصول الرعب والخراب، لن يوقف من تحولاتها الحياتية والفكرية، والتاريخية، ميولاً نحو البناء، والرقي، وإن بدت حياتها خلال العصور القريبة، أقرب إلى العنف في السلوك والتراكمات السلوكية لأهلها.

لإزاحة الراهن بوصفه دماراً، والإقرار بأن مدينة كهذه (بغداد) وهبت الإنسانية محطات مشرقة، لابد ان تنتظم ثانية في المسار الطبيعي (مدينة لمجد الحياة وتعلي قيما إنسانية رفيعة، أبرزها التسامح والإنفتاح، تولى الشاعر عبدالزهرة زكي تقديمها في نص أقرب إلى التنقيب الفكري، لكنه يبدو أقرب لجهة التأمل والتقاط التاريخي، في معاينة بغداد فكرة وبناء حضارياً.

وعبر مخالفة التوقعات، كان زكي بارعاً في تقديم النص الشعري خارج البناء الصوتي طالما ان المنبر يحث على ذلك، غير أن هذا لم يعدم في النصوص بناءها الموسيقي الذي جاء معتمداً، إيقاعاً داخلياً زاده تماسكاً هدوء الشاعر وتوزيعه النبرات، بما أمكن له ان يضع توافقاً صوتياً في نص يغيب عنه البناء الصوتي الخارجي على الأغلب.

الظهور الهادئ والناعم لعبد الزهرة زكي في "شعر جرش" أعطى صورة مميزة عن لحظة شعرية عراقية لطالما تميزت بالإضطراب على الأقل في الرؤية السريعة والخاطفة، فهو حين قرأ العميق المتمهل في رؤاه ودلالاته، أزاح فكرة جاهزة عن شعر عراقي من "الداخل" لطالما تميز بصورتين نمطيتين: شعر المديح الذي كاد عبر الموازة الإعلامية لسلطة صدام، أن يختصر الشعر في العراق خلال السنوات الأخيرة، والثانية شعر الإعلانات الغاضبة، الذي بدا وكأنه يتصل مع شعر الصورة الأولى وإن خالفه في النوايا فهو الأخر، كان يشتغل على العابر واليومي الطافي على سطح الأحداث، على الرغم من أهميته لجهة التوثيق غير المزور للوقائع التي طحنت البلاد وأهلها.

في العدد القادم تنشر المدى قصائد للشاعر ألقاها في مهرجان جرش